﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ [النّحل: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نِسبةُ الوحْي إلى الأرْواحِ، ونِسبةُ الأرْواحِ إلـــى الأشْباح

لَمّا تَقرَّرَ تنزُّهُهُ سُبحانَه عن كُلّ نقصٍ: شركٍ وغيرِه؛ شَرَعَ ﷻ يَصفُ نفسَهُ سُبحانَه بصفاتِ الكَمال منَ الأمرِ والخَلْقِ، ولمّا كانَ الأمرُ أقْدمَ وأعلى؛ بدأ به، ولمّا كان من أمرِهِ إنزالُ الملائكَةِ بالعِلْمِ الَّذي نسبتُهُ إلى الأرواحِ نسبةُ الأرواحِ إلى الأشباحِ، وكان ذلكَ رُبَّما أثارَ لهم اعْتِراضًا يَطلبونَ به الفَرْقَ بينهم وبين الرُّسُلِ في إنْزالهم عليهم دونَهم، وكانَ ما يُشركون به لا تَصَرُّفَ له أصْلًا بإنزالٍ ولا غَيرِه، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ الآيةَ، مُشيرًا إلى ذَلكَ، وإلى أنّ الوحْيَ يكونُ بواسطةِ الملَكِ، وأنّ النّبوَّةَ عطائيّةٌ لا كسبيّةٌ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُنَزِّلُ﴾: مِنَ الفعلِ نَزَّلَ يُنزِّلُ تَنْزيلًا، والنّونُ والزّاءُ واللّامُ كلمةٌ صحيحةٌ تَدُلّ على هبوطِ شيءٍ ووقوعِهِ، ونَزَلَ عن دابّته نُزولًا، ونَزَلَ المَطرُ مِنَ السّماء نُزولًا، والنّازلةُ: الشَّديدةُ مِن شدائدِ الدّهرِ تَنْزلُ، والنِّزالُ في الحَرْبِ: أنْ يَتنازلَ الفريقانِ، ونَزالِ: كلمةٌ توضعُ موضعَ انْزِلْ، ومَكانٌ نُزُلٌ: يُنزَلُ فيه كثيرًا، والنَّزيلُ: الضّيفُ، والتَّنزيلُ: ترتيبُ الشّيءِ ووضعُهُ منزلَهُ[2]، وإنزالُ القرآنِ، والملائكةِ، والماءِ، والرَّحمةِ، والعذابِ، وما بمعنى كلٍّ منها، وأفعالُ النّزولِ، والتّنزيلِ، والإنزالِ، وما اشْتُقَّ منها؛ واضحةٌ يتحقّقُ فيها معنى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 103.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزل).

الهبوطِ إلى مَقَرٍّ، ومِنَ الخُلوصِ إلى الاستقرارِ بينَ البَشَرِ، وهو معنى تَنزيلِ الملائكةِ بالوحيِ إلى البشرِ هدًى لهُم[1].

2) ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: الرّاءُ والواوُ والحاءُ أصلٌ كبيرٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ على سَعةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرادٍ، وأصلُ ذلكَ كُلِّهِ الرّيحُ، وأصل الياء في الرّيحِ الواوُ، وإنّما قُلبتْ ياءً لكَسرةِ ما قبْلَها، والبابُ كُلُّه مُشتَقٌّ مِنَ الرّيحِ، والرَّوْحُ: نَسيمُ الرّيحِ، ويُقالُ: أراحَ الإنسانُ إذا تَنَفَّسَ، ويقالُ: أرْوحَ الماءُ وغيرُهُ: تَغَيَّرتْ رائحَتُهُ، والرَّواحُ: العَشيُّ، وسُمّيَ بذلكَ لِرَوْحِ الرّيحِ، فإنّها في الأغلبِ تَهُبُّ بعد الزوالِ[2]، والرّوحُ، بالضّم: النَّفْسُ (بسكون الفاء)، وما به حَياةُ النّفْسِ هو الّذي يعيشُ به الإنْسانُ، أمّا حقيقةُ الرّوحِ فقَدْ قال اللّهُ تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85]، وأُطْلِقتَ على الوحْيِ، وهو تَغَلْغُلٌ لطيفٌ إلى النَّفْسِ بخبرِ السّماءِ، وعلى جبريلَ عليه السلام؛ لأنّه حاملُ وحْيِ اللّه إلى رُسُلِه، وعلى القُرآنِ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: 52]؛ لأنَّ حياةَ النُّفوسِ به، وهو مِنْ عند اللّه[3]، وهذا معنى الرّوحِ في هذه الآيةِ الكريمةِ، أي: الوحْيِ الّذي به حياةُ النُّفوس.

المَعْنى الإجماليُّ:

يُنَزِّلُ اللّهُ الملائكةَ بالوحْيِ الّذي به حياةُ الأرواحِ مِنْ أمرِهِ، على مَن يشاءُ من عبادِهِ المرسَلينَ، ممَّنْ يَعْلَمُهُ صالحًا لتحمُّلِ رسالتِهِ بأنْ: خَوِّفوا النّاسَ مِنَ الشّركِ وعاقبتِه، وأعلِموهم أنَّه لا معبودَ بحقٍّ إلّا أنا، فاتَّقونِ بأداءِ فرائضي وإفْرادي بالعبادَةِ والإخْلاصِ[4].

مَـــدارُ دعـــوةِ الـــرُّســـلِ على تبليغِ الوحْيِ، والإنْذارِ بما نزل به الملائكةُ الأبرار

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نزل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (روح، ريح).
(4) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 267.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دَلالَةُ الفِعْلِ المضارِعِ ﴿يُنَزِّلُ﴾:

إرسالُ الرُّسُلِ بالوحي سنّةُ الله في عبادِهِ، منذ غابر الزّمان

وردَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ الفعلُ ﴿يُنَزِّلُ﴾ بصيغَةِ المضارِعِ الدّالَّةِ على الاسْتِقْبالِ؛ لِلْإشْعارِ بِأنَّ إنزالَ الملائكةِ بالوحيِ على عبادِهِ سُنَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَهُ سُبْحانَهُ، فكلّما ابتعَدَ العبادُ عن طريق الحقِّ، بَعثَ اللّهُ فيهم رَسولًا يجدِّدُ لهم دينهُم[1].

تَوْجيهُ القِراءاتِ المتواتِرة:

تَكثيرُ المعاني الدّلاليَّةِ بتنوُّعِ القِراءاتِ القُرآنيَّةِ، مِن فصيح البيان

قَرأ الجُمهورُ ﴿يُنَزِّلُ﴾ بياءٍ تَحْتيَّةٍ مَضْمومَةٍ وفَتْحِ النّونِ وتَشْديدِ الزّايِ مَكْسورَةً، وقَرَأَهُ ابْنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو ورويْسٌ عَنْ يَعْقوبَ ﴿يُنزِلُ﴾ بِسُكونِ النّونِ وتَخْفيفِ الزّايِ مَكْسورَةً؛ و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ مَنصوبًا، وقَرَأَهُ رَوْحٌ عَنْ يَعْقوبَ ﴿تَنَزَّلُ﴾ بِتاءٍ فَوْقيَّةٍ مَفْتوحَةٍ، وفَتْحِ النّونِ، وتَشْديدِ الزّايِ مَفْتوحَةً، ورَفْعِ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عَلى أنَّ أصْلَهُ تَتَنَزَّلُ[2].

وتَوْجيهُ قراءةِ من قرأهُ بالتّاءِ والتَّشديدِ: أنَّ الأصل تتنزَّل، فحذف إحدى التاءين وهي الثانية لاجتماعهما، وارتفاع ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بإسناد الفعل إليه، والتاء في ﴿تَنَزَّلُ﴾ لأجل تأنيث ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لكونها جماعة[3]، وتَوْجيهُ قراءةِ من قرأهُ بالياء مُشدَّدًا أو مُخفَّفًا: أنَّهُ جَعلَ الفِعلَ للّه ﷻ، فأضْمرَهُ فيه لتقدُّمِ اسْمِهِ، ونَصَبَ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بِتَعدّي الفِعلِ إليهم[4].

بَلاغَةُ قراءَتي التَّشديدِ والتَّخفيفِ في ﴿يُنَزِّلُ﴾:

الإنْزالُ يكونُ جُملةً واحدةً، والتّنزيلُ يكونُ مُنجَّمًا

وردَ في الفعلِ ﴿يُنَزِّلُ﴾ مِنْ قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ التَّخفيفُ والتَّشديدُ، فأُخِذَ المُشَدَّدُ ﴿يُنَزِّلُ﴾ مِنْ (نَزَّلَ)، والمخفَّفُ (يُنْزِلُ) مِن (أنْزَلَ)، وقَدْ ذَهَبَ بعضُ العلماءِ إلى التَّفريقِ بينَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 95.
(2) ابن الجزريّ، النّشر: 02/ 302.
(3) ابن أبي مريم، الموضح، ص: 730
(4) ابن خالويه، الحجّة، ص: 209.

مَصدَرَيهما (أنزلَ إنْزالًا، ونَزّلَ تَنْزيلًا) مِنْ حيثُ المعنى، فقالوا: إنَّ الإنزالَ يكونُ جُملةً واحدةً، والتّنزيلَ يكونُ مُنجَّمًا[1].

ويَرِدُ على هذا التَّفريقِ قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: 32]، فإنَّهُ استعمَلَ الفعلَ ﴿نُزِّلَ﴾ [الفرقان: 32] في الإنزالِ جملةً واحدةً، وكانَ المقتَضى حَسَبَ قولِهم (أُنْزِلَ)، ولهذا فالقولُ بأنّه أمرٌ أغلبيٌّ أسْلمُ مِنَ المعارَضَةِ.

دَلالَةُ فصلِ جملَةِ ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

إنـــزالُ الملائكةِ بـالـوحـي مـنْ صفاتِ الكَمالِ

وردَ قولُهُ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ مَفْصولًا عَنِ الآيةِ السّابقَةِ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾؛ لاخْتِلافهما في المعْنى، فبَعْدَ تهديدِ المشركينَ باقترابِ عذابِهم، وتَنَزُّهِهِ سُبحانَه عن كلِّ نقصٍ: شركٍ وغيرِه، شَرعَ يَصفُ نفسَهُ سُبحانَهُ بصِفاتِ الكَمالِ؛ من الأمرِ والخلْقِ بإنزالِ الملائكةِ بالوحْيِ إلى النّاسِ.

دلالة (أل) على الجنس في لفظ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

اشْتِقاقُ المَلَكِ مِـنْ تَـحَـمُّـلِ الرِّسالَةِ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ لَفظُ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ مَجموعًا مُعرَّفًا بـ (أل) الدّالّةِ على تعريفِ الجِنْسِ.

والملائكةُ: واحِدُها مَلَك، وأصْلُه (مَأْلَك)، ثُمَّ خُفِّفَ بحَذفِ الهَمزةِ، فقيل: مَلَكٌ، وأصلُه من المأْلُكَةِ والمأْلَكَةِ والمَلأكَةِ، وهي: الرِّسالَةُ، والمَلْأكُ: المَلَكُ؛ سُمّيَ بذلك؛ لأنَّهُ يُبَلِّغُ عنِ اللهِ ﷻ ما أُرْسِلَ به إلى مَن شاءَ من خَلْقِه، وأصْلُ (ألَكَ): يَدُلُّ على تَحَمُّلِ الرِّسالَةِ[2].

دَلالَةُ الجَمعِ في لفظ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

تَسْميةُ جبريلَ الـواحـدِ باسمِ الجمعِ لكونِهِ رئيسًا مُقَدَّمًا

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ لَفْظِ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ مَجموعًا، وقَدْ رَوى عطاءٌ عن ابنِ عبّاسٍ قال: يُريدُ جبريلَ وحْدَهُ عليه السلام، ويجوزُ تَسْميةُ الواحدِ باسمِ الجمعِ إذا كان ذلك

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 311.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (لأك).

الواحدُ رئيسًا مقدَّمًا؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: 173][1]، كما يَحتَمِلُ السّياقُ أنْ يكونَ المقصودُ هو ومَنْ مَعَهُ مِن حَفَظَةِ الوحْيِ بأمرِ اللّه تَعالى[2].

مَعنى لفظ ﴿بِٱلرُّوحِ﴾، ودَلالَةُ (الباء) الجارّة فيه:

الوحْيُ حياةٌ مِن مَوتِ الكفرِ

ورَدَ في تفسيرِ ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ من قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ قولان:

الأوّلُ: الوحْيُ، هو كلام اللّه، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ، وقال به الرَّبيع والحَسَن، وهو قولُ جُمهورِ المفسِّرينَ، قال الزَّجّاجُ: الرّوح ما كان فيه من أمرِ اللّه حياةً للنّفوس بالإرشاد إلى أمر اللّه[3]، وقولُهُ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: 15]، وقولُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]؛ هذا كُلُّه معناهُ الوحْيُ[4]، وسُمّي روحًا؛ لأنَّهُ حياةٌ مِن مَوتِ الكفرِ، فصارَ يحيا به النّاسُ؛ كالرّوحِ الذي يحيا به الجسَدُ[5]، والباء متعلقةٌ بالفعل، أو بما هو حالٌ من مفعوله، أي: ملتبسين بالرّوح[6].

الثّاني: جبريلُ عليه السلام، وهو قَوْلُ أبي عبيدَةَ، والباءُ في قولِهِ: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بمعنى (مع)، كقولهم: خرجَ فلانٌ بثيابِهِ، أي: مع ثيابِهِ، ورَكِبَ الأميرُ بسلاحِهِ، أي: مَعَ سِلاحِهِ، فيكونُ المعنى: يُنَزِّلُ الملائكةَ مع الرّوحِ، وهو جبريلُ، والأوّلُ أقربُ[7].

بلاغَةُ الاستعارَةِ في إطلاق الرّوح على الوحي:

حُلولُ الوحْيِ في العُقولِ كَحُلولِ الرّوحِ في الجُسوم

في قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ اسْتِعارةٌ

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 13/ 09.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 95.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 190.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (روح).
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 13/ 09.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 95.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 129.

بَديعةٌ، حيثُ أُطلِقَ على الوحْي اسمُ الرّوحِ على وجْهِ الاستعارَةِ؛ لأنَّ الوحْيَ به هَدْيُ العُقولِ إلى الحَقِّ، فشُبِّهَ الوحْيُ بالرّوحِ، كَما يُشَبَّهُ العِلمُ الحَقُّ بالحياةِ، وكَما يُشَبَّهُ الجَهْلُ بالموتِ، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122]، ووجْهُ تَشبيهِ الوَحيِ بالروحِ: أنَّ الوحْيَ إذا وعَتْهُ العُقولُ حَلَّت بها الحياةُ المعنويَّةُ، وهو العِلْمُ، كما أنَّ الرّوحَ إذا حلَّ في الجسْمِ حَلَّت به الحياةُ الحِسّيَّةُ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشّورى: 52][1].

دَلالَةُ حَرفِ الجرِّ ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، ومعْنى الإضافَةِ:

تـــردُّدُ معنى حـــرفِ الـجَـرّ (مِـنْ) بين عِـدّة معانٍ، يُفيد ثراءَ السّياق وسعته

في قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ ورَدَ حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجِنْسِ، فالأمر هنا مُرادٌ به جِنْسُ أمورِه سُبحانَه، وهي شُؤونُهُ ومُقدّراتُهُ الّتي استأثَرَ بها، وذلكَ وجهُ إضافَتِه إلى اللّه كما هُنا، وكما في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]، وقولِه تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: 11]، وقولِه تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85]؛ لما تُفيدُهُ الإضافَةُ مِنَ التَّخْصيصِ[2]، (هو نفسه الرأي الأول الذي مضى ذكره وتحريره وهو بيان الجنس)، أو المرادُ بيانٌ، أيْ: بَيانٌ للرّوحِ الّذي أُريدَ به الوحْيُ، فإنَّه أمرٌ بالخيرِ، أو حالٌ منهُ، أيْ: حالَ كونِه ناشئًا ومُبتَدَأً منه، فتكون على هذا ابتدائيّةً؛ أو هي صِفةٌ لَهُ على رَأْيِ مَنْ جَوَّزَ حَذفَ الموصولِ مَعَ بَعْضِ صِلَتِه، أيْ: بالرّوحِ الكائِنِ مِنْ أمرِه النّاشِئِ مِنْهُ، أوْ مُتَعَلَّقٌ بِـ: ﴿يُنَزِّلُ﴾، وقيل: ﴿مِنْ﴾ للسَّبَبيَّةِ كالباءِ، مثل ما في قَولِهِ تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نوح: 25][3]، ويحتمل أن تكون تبعيضيةً[4]، أي: يُنَزِّلُ الرّوحَ ببعض أمرِه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 99.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 99.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 95.
(4) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 7/ 188.

مَعْنى ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾، ودَلالَةُ إفرادِهِ:

الأمرُ واحدُ الأمورِ، أوْ واحدُ الأوامِرِ، ولكلّ منهما أثرٌ في الدّلالة

في قَولِهِ تَعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾، قال بَعضُ العلماءِ: إنَّ الأمرَ هُنا واحدُ الأمورِ، لكنِ المُرادُ به الجنسُ، قال ابن عاشور: ومَعْنَى ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: الجِنْسُ، أيْ: مِنْ أُموره، وهي شُؤونُهُ ومُقَدَّراتُهُ الَّتي استَأثرَ بها[1]، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54].

وقالَ بَعْضُهُم: إنَّ الأمرَ هُنا واحدُ الأوامِرِ، وهو بمَعْنى الإذْنِ والتَصَرُّف، فيكونُ معنى ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أنَّ ذلك التَّنزيلَ والنُّزولَ لا يكونُ إلّا بأمرِ اللّه تعالى، ونظيرُهُ قولُه تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [مريم: 64]، وقولُه: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: 27]، وقولُه: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: 28]، وقوله: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6]؛ فكُلُّ هَذِهِ الآياتِ دالَّةٌ على أنَّهم لا يُقْدِمونَ على عَمَلٍ مِنَ الأعمالِ إلّا بأمرِ اللّه تَعالى وإذْنِه[2].

دَلالَةُ تَكْرارِ ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ و﴿أَمۡرِهِۦ﴾:

أمْرُ الله بمعنى وعْدِهِ، وأمْرُه بمعنى تقديرِهِ وإذنه

ورَدَ ذِكرُ الأمرِ في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، وتكرَّرَ ذِكْرُ الأمرِ هُنا بقولِهِ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾، غَيْرَ أنَّ الأمرَ الأوّلَ غيرُ الأمرِ الثّاني، فالأوَّلُ المقصودُ به: هو ما وعدَهمُ اللّهُ مِنَ المجازاةِ على كُفرهِم مِن أصنافِ العَذابِ[3]، وأمّا الأمرُ الثّاني: فهو مِنَ التَّقديرِ أوِ الإذْنِ، فظهَرَ الفَرْقُ بينهما.

فائِدَةُ اسْتِعمالِ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾:

الوخيُ يوصف بالاستعلاء، لنزولِهِ من السَّماءِ، وهي رمز العلوّ

ورَدَ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ استعْمالُ حرفِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 99.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/ 170.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 13/ 09.

الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ الدّالّ على الاستعْلاءِ، وهو استِعلاءٌ حَقيقيٌّ؛ لأنَّ الوحْيَ يَنْزِلُ عَليهِم مِنَ السَّماءِ، فاسْتُعمِلَ لَفْظُ (على) المختَصّ بالعُلوِّ[1].

دَلالَةُ الاسْمِ الموصولِ ﴿مَن﴾:

بَلاغَةُ الموصولِ ترتبط بالإشعارِ بِعِلَّةِ الحُكمِ

وردَ في قولِهِ تَعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ اسْتِعمالُ الاسمِ الموْصولِ المشتَرَكِ ﴿مَن﴾؛ للدّلالَةِ على العاقِلِ مُفْرَدًا كان أوْ مُثَنًّى أو مَجْموعًا، مُذَكَّرًا أوْ مُؤَنَّثًا، والنُّكْتَةُ البَلاغيَّةُ في إيثارِ وضعِ الاسمِ الموصولِ مَوضِعَ الاسْمِ الظّاهِرِ: أنّه يسمَحُ بوصْفِهِ بِجُملةِ الصِّلةِ، فبَيَّنَ قولُهُ: ﴿يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أنَّ سَبَبَ اختيارِ الرُّسُلِ تابِعٌ للمشيئةِ الإلَهيَّةِ، ومَشيئَةُ اللّهِ جاريَةٌ على وفْقِ حِكْمَتِهِ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: 124][2].

دَلالَةُ الفِعلِ المضارِعِ ﴿يَشَآءُ﴾:

إرسالُ الرُّسُلِ بالوحْيِ سُنَّةُ اللهِ في عِبادِهِ

وردَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ الفعلُ ﴿يَشَآءُ﴾ بصيغَةِ المضارِعِ الدّالَّةِ عَلى التّجدُّدِ؛ لِلإشْعارِ بِأنَّ اختيارَ الأنبياءِ لإرسالِهِم إلى عبادِهِ سنّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَهُ سُبْحانَهُ، فكُلّما ابتعدَ العِبادُ عن طريقِ الحَقِّ بعثَ اللّهُ فيهِم رَسولًا يُجدِّدُ لهم دينَهم[3].

دَلالَةُ حَرْفِ الجرِّ ﴿مِنْ﴾:

بَيانُ جِنْسِ الرُّسُلِ إلى العِبادِ، وأثرِهِم في الرّشادِ

في قَولِهِ تَعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وردَ حرفُ الجَرِّ ﴿مِنْ﴾ الدّالّ على البَيانِ، أي: بيانِ جنْسِ الرُّسُلِ الّذين يختصُّهُمُ اللّه من عبادِهِ بالرِّسالَةِ والوحْيِ، وفي هذا رَدٌّ على فُنونٍ من تكذيبِهِم، فقدْ قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزّخرف: 31]، وقالوا: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزّخرف: 53]، أيْ: كانَ مَلِكًا، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7][4].

---

(1) الرّاغب، التّفسير: 2/ 289.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 99.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 95.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 13/ 10.

سِرّ جمعِ لفظ ﴿عِبَادِهِۦٓ﴾، ومعناه في السّياق:

كثرةُ الرُّسل وامتثالهم لأمرِ مُرسِلِهم سُبحانَهُ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ لَفْظُ ﴿عِبَادِهِۦٓ﴾ مَجموعًا؛ للدّلالَةِ على كَثْرَةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، كما أنَّ تسْميتَهم بلفظِ العبوديَّةِ دليلٌ على امتثالهم لأمرِ مُرسِلِهم ﷻ، وطاعتِهِم لهُ في تبليغ وحْيِهِ إلى عبادِهِ.

دَلالَةُ الإضافَةِ في لفظِ ﴿عِبَادِهِۦٓ﴾:

بَلاغَةُ الإضافَةِ للتَّشْريفِ، في السّياق المنيف

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ لَفْظُ ﴿عِبَادِهِۦٓ﴾ مُضافًا إلى الضميرِ العائدِ على اللّه ﷻ تشريفًا لأنبيائه ورسله، ولزيادةِ مَدْحِهم بِصفةِ العُبوديَّة للّه، أي: عبوديَّةِ التقرُّبِ.

بَلاغَةُ الاعْتراضِ والاستِطرادِ:

في الإطنابِ بلاغةٌ كالإيجازِ، إذا اقتضاهُ المقام

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ اعتراضٌ واستطرادٌ بينَ الفعلِ ﴿يُنَزِّلُ﴾ وبينَ مُفَسِّرِهِ، فالاعتراضُ والاستطراد في قولِه تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾، وقولُهُ تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ تفسير لفعل ﴿يُنَزِّلُ﴾[1].

دلالة حرفِ ﴿أَنْ﴾ في السّياق:

أثرُ حُروفِ المعاني في السّياقِ القُرآنيِّ، بارزٌ ومفيد

﴿أَنْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ إمّا مخفَّفةٌ من (أنَّ)، وضميرُ الشّأن الذي هو اسمُها محذوفٌ، أي: يُنَزِّلُهُم مُلتبِسينَ بأنَّ الشَّأنَ أقولُ لكم أنذِروا، أو مُفسّرةٌ على أنّ تنزيلَ الملائكَةِ بالوحي فيه معنى القَولِ، كأنه قيل: يَقولُ بواسطة الملائكة لِمَن يَشاء مِنْ عِبادِهِ: أنذروا؛ فلا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، أو مَصدريّةٌ لجواز كونِ صِلتِها إنشائيّةً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [يونس: 105]، فمحلُّها الجَرُّ على البَدليّة أيضًا[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 99.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 96.

بَلاغَةُ الأمرِ في الفعل ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾:

بَـلاغَـةُ الإنْـذارِ بـالإخـبـارِ بضدِّ الاعتقادِ

جملة ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ بدلٌ مِنَ (الرّوحِ)، أيْ: يُنَزِّلُهم مُلتَبِسينَ بأنْ أنْذِروا، أيْ: بهذا القَوْلِ، والمخاطَبون به الأنبياءُ الّذين نَزَلت الملائكةُ عليهم، والآمرُ هو اللّه سُبحانَه، والملائكةُ نَقَلَةٌ للأمرِ، كما يُشعِرُ به حرفُ الباءِ في المبدَلِ منه، ولـمّا كان هذا الخبَرُ مَسوقًا للَّذين اتَّخذوا مَعَ اللّه آلهةً أُخرى، وكان ذلك ضلالًا يَستحِقّون عليه العِقابَ؛ جعَلَ إخبارَهم بضِدِّ اعتقادِهم، وتحذيرَهم ممّا هم فيه إنذارًا، وفرَّعَ عليه ﴿فَٱتَّقُونِ﴾[1]، والإنْذارُ: الإعلامُ، خلا أنّهُ مُختصٌّ بإعلام المَحذورِ، مِن نَذَرَ بالشّيءِ، إذا عَلِمَهُ فحَذِرَهُ، وأنذرَه بالأمر إنذارًا، أي: أعلَمَهُ وحَذَّرَهُ وخَوَّفَهُ في إبلاغِه[2].

دَلالَةُ حَذْفِ المفعولِ بِهِ في ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾:

شُـمولُ الـنِّـذارَةِ لجميعِ المُرسَلِ إليهِم

ورَدَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ عَدَمُ ذِكْرِ مفعولِ الإنْذارِ؛ لإرادَةِ العُمومِ وشُمولِ النِّذارَةِ لجميعِ المُرسَلِ إليهِم دونَ تَقْييدٍ، والامتِناعِ عَنْ أنْ يَقْصُرَهُ السّامِعُ عَلى ما يُذْكَرُ مَعَهُ دونَ غَيْرِهِ، فالغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ الفِعْلِ مُجَرَّدًا الاقْتِصارُ عَلى إثْباتِ مَعْنى الفعْلِ؛ لإفادَةِ الوُجودِ المُجَرَّدِ في الشّيْءِ دونَ التّعَرُّضِ للمعْمولِ[3]، فيُجْعَلُ المُتَعَدّي كَغَيْرِ المُتَعَدّي، في أنَّكَ لا تَرى لَهُ مَفْعولًا لا لَفْظًا ولا تَقْديرًا، وإذا كانَ الكَلامُ مُنْصَبًّا إلى غَرَضٍ مِنَ الأغْراضِ، جُعِلَ سياقُهُ لَهُ وتَوَجُّهُهُ إلَيْهِ، كَأنَّ ما سِواهُ مَرْفوضٌ مُطَّرَحٌ[4].

نُكْتَةُ استعمالِ (أنَّ) في قولِهِ ﴿أَنَّهُۥ﴾:

فَخامَةُ المَضْمونِ بتَصْديرِ الجُمْلَةِ بضميرِ الشَّأْنِ مع التّوكيد

ورَدَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ حَرْفُ ﴿أَنَّهُۥ﴾ مُتَّصِلًا بضميرِ الشَّأْنِ، ومَدارُ وضْعِه مَوضِعَه ادِّعاءُ شُهْرَتِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 100.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 96.
(3) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 153.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.

المُغْنيَةِ عَنِ التَّصريحِ بهِ، وفائِدَةُ تَصْديرِ الجُملَةِ بِهِ: الإيذانُ مِن أوَّلِ الأمرِ بفَخامَةِ مَضمونِها مَعَ ما فيهِ مِنْ زيادَةِ تَقْريرٍ لَهُ في الذِّهْنِ، فإنَّ الضّميرَ لا يُفهَمُ مِنْهُ ابتداءً إلّا شَأْنٌ مُبهمٌ لهُ خطرٌ، فيَبْقى الذِّهنُ مُترقِّبًا لما يَعْقُبُه فيَتَمَكَّنَ لَدَيهِ عِنْدَ وُرودِه فضلُ تَمَكُّنٍ، كَأنَّهُ قيلَ: أنْذِروا إنَّ الشَّأنَ الخَطيرَ هَذا، وإنباءُ مَضْمونِه عنِ المَحْذورِ ليس لِذاتِهِ، بَلْ مِنْ حَيثُ اتِّصافُ المُنْذَرينَ بما يُضادُّه مِنَ الإشْراكِ، وذَلِكَ كافٍ في كَوْنِ إعلامِهِ إنذارًا[1].

دَلالَةُ حَذفِ حرفِ الجرّ في ﴿أَنَّهُۥ﴾:

اطـــرادُ حـذفِ حـرف الجـر مع أنّ

ورَدَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ تَعَلُّقُ عبارَةِ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ بالفِعْلِ ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ عَلى حَذْفِ حَرْفِ الجَرِّ حَذْفًا مُطَّرِدًا مَعَ (أنّ)، والتّقدير: أنْذِروا بِأنَّهُ لا إلهَ إلّا أنا[2]، ويَشْتَرِطُ النُّحاةُ في قياسِ اطِّرادِ حَذفِ حَرفِ الجرِّ مَعَ (أنَّ وأنْ) أمنُ اللَّبس[3]، وإلّا كانَ مَمنوعًا.

فائِدَةُ النَّفْيِ في ﴿لَآ﴾:

لا يَتَحَقَّقُ التَّوحيدُ إلّا بالنَّفْيِ والإثْباتِ

ورَدَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ تَصْديرُ جُملةِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ بحرفِ ﴿لَآ﴾ النّافيَةِ للجِنْسِ؛ تَنْصيصًا عَلى قَصْدِ نَفْيِ جِنْسِ الآلهَةِ، لتَدُلَّ الجُملَةُ على التَّوحيدِ، ونَفيِ الشَّريكِ بالصَّراحَةِ، ودلالَةِ المُطابقَةِ، وأنَّه ليْسَ المُرادُ نَفْيَ الوحْدَةِ عَنْ غَيْرِ اللّه، فيوهِمُ أنَّهُ قَدْ يكون إلَهانِ أوْ أكثرُ في شِقٍّ آخَرَ، وإنْ كان هَذا يَؤولُ إلى نَفْيِ الشَّريكِ لَكِنْ بدلالَةِ الالتزامِ، وخَبَرُ ﴿لَآ﴾ هذه محذوفٌ دَلَّ عليهِ ما في (لا) مِنْ مَعْنى النَّفيِ؛ لأنَّ كُلَّ سامِعٍ يَعلمُ أنَّ المُرادَ نفيُ هذهِ الحقيقَةِ، فالتَّقديرُ: لا إلهَ حَقٌّ إلّا هو، على خِلافٍ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 100.
(3) ابن عقيل، شرح الألفيّة: 2/ 151.

بينَ العُلَماء في تَقْدير المحْذوف، وقَدْ نُسِبَ إلى الزَّمخْشَريّ أنَّهُ لا تقديرَ لخبرٍ هُنا، وأنَّ أصلَ (لا إلهَ إلا هو): هو إلَهٌ، فقدَّمَ ﴿إِلَٰهَ﴾، وأخَّرَ (هو) لأجْلِ الحصر بإلّا، وذَكَروا أنَّه ألَّفَ في ذلكَ رسالةً، وهَذا تَكَلُّفٌ، فغَرَضُ التَّقْدير إظهارُ مَعاني الكَلام، وتَقْريبُ الفَهْم، وإلّا فإنَّ (لا) النّافيَةَ إذا نَفَتِ النَّكِرَةَ فقَدْ دَلَّت على نَفْيِ الجِنْسِ، أيْ: نَفْيِ تَحَقُّقِ الحقيقَةِ، فمَعنى (لا إلهَ): انتفاءُ الأُلوهيَّةِ، (إلّا اللّهُ)، أيْ: إثباتُ الأُلوهيَّةِ للّه وحْدَهُ[1].

سِرُّ إفْرادِ لفظِ ﴿إِلَٰهَ﴾:

نَـفْـيُ المُـفـرَدِ في الجِنْسِ أبْلغُ مِنْ نَفْيِ المجْموعِ

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ لفظُ ﴿إِلَٰهَ﴾ مُفْردًا، والنُّكْتَةُ في ذلك: أنَّ نَفْيَ المُفرَدِ في الجِنْسِ أبْلَغُ مِنْ نَفْيِ المجْموعِ، والمفْرَدُ أحْرى باسْتِغراقِ الجِنْسِ مِنَ الجَمعِ، وكذلكَ لأنَّ المُفرَدَ اسْتَرْسَلَ على الجِنْسِ لا بصيغَةٍ لفظيّةٍ، وأمّا الجمعُ فمَرَدُّهُ إلى تَخَيُّلِ الوُحدانِ، ثُمَّ الاستغراقُ بعدَهُ بِصيغَةِ الجمعِ[2].

دَلالَةُ تَنْكيرِ لفظ ﴿إِلَٰهَ﴾:

النّكِرَةُ في سياقِ النّفْيِ تَعُمُّ

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ لفظُ ﴿إِلَٰهَ﴾ مُنَكّرًا، والنُّكْتَةُ في مجيئِهِ نَكِرَةً: هو الدّلالَةُ على عُمومِ نَفْيِ الأُلوهيَّةِ عَنْ سِوى اللّهِ ﷻ، والنّكِرَةُ في سياقِ النّفْيِ تَعُمُّ[3].

فائدةُ الاستثناءِ بـ: ﴿إِلَّآ﴾:

القَصْرُ ذو أثرٍ في الدّلالة، يَبْرُزُ به المعنى بالأصالة

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ الاسْتِثْناءُ بـ ﴿إِلَّآ﴾ دونَ غيرِها مِن أدواتِ الاسْتِثناءِ؛ لأنّها أُمُّ بابِ الاستثناءِ، والنَّفْيُ والاستِثناءُ هو رَأْسُ باب القَصْرِ، وهو الطَّريقُ الأمُّ بين طُرُقِه؛ إذْ تَراهُم يَقيسونَ عليه غَيْرَهُ، فيقولونَ مَثَلًا: قولك:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 75.
(2) الجوينيّ، البرهان: 1/ 121.
(3) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 335.

إنّما زُهيرٌ شاعرٌ، معناه: ما زُهيرٌ إلّا شاعرٌ، وقولُك: لك هذا، معناه: ما هَذا إلّا لَكَ[1].

دَلالَةُ استعمالِ ضَميرِ المتكلِّمِ ﴿أَنَا۠﴾:

قوّةُ الخطابِ في سياقِ التّوحيد، الّذي ينتظم به الاعتقاد الرّشيد

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾، اسْتعمالُ ضميرِ المُتكلِّمِ ﴿أَنَا۠﴾ دونَ الاسْمِ الظّاهِرِ (الله)؛ لأنَّ سياقَ الآيَةِ الأمرُ بالإنذارِ، والأمرُ يقتضي الخِطابَ، فقالَ تعالى لرُسُلِه: أنذروا عبادي سَطْوتي على كُفرهم بي، وإشراكِهم في اتّخاذِهم معي الآلهةَ والأوثانَ، فإنَّهُ لا إلهَ إلّا أنا، لا تَنْبَغي الأُلوهَةُ إلّا لي، ولا يَصْلُحُ أن يُعبدَ شيءٌ سِوايَ[2]، ونقل الكلامَ من الغيبة إلى التكلُّم مبالغةً في الترهيب، وتصريحًا بالمقصود، كأنَّه قال: فأنا ذلك الإله الواحد، فإياي فارهبون لا غير[3].

بَلاغَةُ كَلِمَةِ التَّوحيدِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾:

قـــوَّةُ الـقـصـرِ بـالـجـمـع بين النفي والإثبات

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ جُملَةُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، الّتي تُفيدُ التّوحيدَ وإفرادَ الله بالأُلوهيّةِ، كما نَفَتْ أيضًا حقيقةَ الأُلوهيّةِ عن غَيْرِ الله تَعالى، وهذهِ الكَلِمةُ العظيمةُ هي أوَّلُ واجبٍ على كُلِّ شَخْصٍ، كما أنّها آخرُ واجبٍ، فمَنْ ماتَ على هذهِ الكَلِمَةِ فهو من أهْلِ الجَنَّةِ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: "مَنْ ماتَ وهو يَعْلَمُ أن لا إلهَ إلّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ"[4].

ومعْنى (لا إلهَ إلا الله)، أي: لا معبودَ حَقٌّ إلّا اللهُ وحْدَهُ، فهو نفيُ الإلَهيَّةِ عمّا سوى الله ﷻ، وإثْباتُها كُلُّها لله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وهَذِهِ الكَلِمَةُ قائمَةٌ على النَّفْيِ والإثْباتِ، وهو حَقيقَةُ أسلوبِ القَصْرِ الَّذي هو مِنْ أقْوى طُرُقِ التَّوكيدِ، وهو الأوسَعُ دلالةً؛

(1) بسيونيّ فيود، علم المعاني، ص: 314.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 162.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد، 3/ 108.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (26).

لاشتمالِهِ على مَعْنَيَيْنِ: نَفيٍ وإثباتٍ صراحةً، كما أنّهُ أقْوى الطُّرُقِ في ردِّ الإنْكارِ والتَّكذيبِ.

نوعُ الفاءِ في قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾:

تَفْريعُ التّقْوى عَنِ الإنْذارِ، من بليغِ البيان

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ الفعلُ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ مُتّصِلًا بفاءٍ تُسَمّى (فاءَ التفريع): وهي تُفيدُ أنَّ الكَلامَ بَعْدَها مُتَرَتِّبٌ عَلى الكَلامِ الّذي قَبْلَها، ولمّا كانَ هَذا الخبرُ مَسوقًا للّذينَ اتَخذوا مَعَ اللّه آلهةً أُخرى، وكانَ ذلكَ ضَلالًا يَستحقّونَ عليهِ العقابَ؛ جَعَلَ إخبارَهُم بضِدِّ اعتقادِهِم، وتحذيرَهُم ممّا هُم فيهِ إنذارًا، وفَرَّعَ عليه ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، ووجْهُ التّفريعِ: أنّ انفرادَهُ تَعالى بالإلهيَّةِ يَقْتضي استحقاقَهُ أنْ يُعبَدَ، وخَصَّ مِنَ العِباداتِ هُنا التَّقْوى لأهَمّيَتِها[1].

بلاغَةُ أسْلوبِ الأمرِ في ﴿فَٱتَّقُونِ﴾:

الأمـرُ بالتَّقْوى شامِلٌ لكلّيّات الشَّريعَةِ وجزئيّاتها

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ الفعْلُ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، وهو أمرٌ بالتَّقْوى الشّامِلَةِ لجَميعِ الشَّريعَةِ، وقَدْ أحاطَتْ جملةُ ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ إلى قَولِه تَعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ بالشَّريعَةِ كُلِّها، لأنَّ جملةَ: ﴿أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تنبيهٌ على ما يَرْجِعُ مِنَ الشَّريعَةِ إلى إصْلاحِ الاعْتقادِ، وهو الأمرُ بكمالِ القوَّةِ العقْليَّةِ، وجُملةَ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ تَنبيهٌ عَلى الاجْتنابِ والامتثالِ اللَّذَيْنِ هما مُنتَهى كمالِ القوَّةِ العَمَليَّةِ[2].

سِرُّ حَذْفِ مفعولِ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾:

الحـذْفُ لِلتَّخفيفِ والاخْتِصارِ ومُراعاةِ الفَواصِلِ

وردَ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ فِعْلُ الأمرِ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ بالكَسرَةِ على النّونِ، التي تَدُلُّ على الياءِ المفعولَةِ، أي: الواقِعَةِ إعْرابًا في محَلِّ المفْعولِ به، وقَدْ حُذِفَتْ هذه الياءُ مُراعاةً للفَواصِلِ[3]، أوْ للتّخفيفِ والاخْتِصارِ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 100.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 100.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 296.
(4) بهجت صالح، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل: 6/ 117.

بَلاغَةُ الخِطابِ بالأمر ﴿فَٱتَّقُونِ﴾:

خِـــطـــابُ المُستعجِلينَ أمرِ اللهِ، على طريقةِ الالتفاتِ إلى التّقوى

تتجلّى بلاغَةُ الخِطابِ في قَوْلِه تَعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ في قَولِهِ سُبحانَهُ ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، فهو خِطابٌ للمُستَعجِلينَ على طَريقةِ الالتفاتِ، أي: إذا كانَ الأمرُ كَما ذُكِرَ مِنْ جَرَيانِ عادَتِهِ تَعالى بِتَنزيلِ الملائكةِ على الأنْبياءِ ﷺ، وأمرِهم بأنْ يُنْذِروا النّاسَ أنَّهُ لا شريكَ لَهُ في الأُلوهيَّةِ، ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ في الإخْلالِ بِمضمونِهِ ومُباشَرَةِ ما يُنافيهِ مِنَ الإشْراكِ وفُروعِهِ الَّتي مِنْ جُملتها الاسْتِعْجالُ والاسْتِهْزاءُ[1].

تَوْجيهُ المتشابِهِ اللّفْظيّ:

تتنوّعُ سياقاتُ الآياتِ، وتلتقي في التّوكيدِ على التّوحيدِ

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾، و﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: 14]، و﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25].

أما آيةُ النَّحْلِ فيَسْبقُها قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ﴾، فلمّا كان أمرُ اللهِ هو عذابَهُ في الدُّنْيا أو في الآخِرةِ، وكانَ الإنْذارُ للوِقايَةِ منهُ؛ ناسَبَهُ قَوْلُه: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

وأمّا آيةُ الأنْبياءِ: فقَدْ بُدِئَتْ بقولِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 25]، فلَمّا كانَ السّياقُ مُتَعَلِّقًا بِمَنْ عَبَدوا غَيْرَ اللهِ، ناسَبَهُ الأمرُ بِعِبادَةِ اللهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25].

وكَذلكَ في آيةِ طَهَ عِنْدَما كانَ السّياقُ في قِصَّةِ موسى ﷺ، الَّذي أرْسَلَهُ اللهُ ﷻ إلى فِرْعَونَ الَّذي ادَّعى الرُّبوبيَّةَ؛ ناسَبَهُ الأمرُ بِعبادَةِ اللهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: 14].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 272.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّنزيل والإرسال:

يظهر الفرقُ بينَ التَّنزيلِ والإرْسالِ: في أنَّ التَّنْزيلَ ما كانَ مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، ويُسْتَعْمَلُ في الكُتُبِ السَّماويَّةِ المُنَزَّلةِ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ، أمّا الإرْسالُ فهو مَأخوذٌ مِنَ الرِّسالَةِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: أرْسَلْتُ زَيْدًا إلى عَمرٍو، يَقْتَضي أنَّكَ حَمَّلْتَهُ رِسالَةً إلَيْه أوْ خَبَرًا، وما أشْبَهَ ذَلِكَ[1].

التَّنْزيلُ لِلْكُتُبِ السَّماويَّةِ، والإرْسالُ للرُّسُلِ المُكَلّفين بالبلاغ

الرّوح والوحي:

يَتَّضِحُ الفَرْقُ بَيْنَ الرّوحِ والوحْيِ جَليًّا مِنْ خِلالِ التَّعريفِ اللُّغَويِّ لِكُلٍّ مِنْهُما، فالرّوحُ مِنَ الرِّيحِ، وأَصْلُ الياءِ في الرّيحِ الواوُ، وإنَّما قُلِبَت ياءً لِكَسْرَةِ ما قَبْلَها، والبابُ كُلُّهُ مُشتَقٌّ مِنَ الرّيحِ، والرَّوْحُ: نَسيمُ الرّيحِ، والرّوح، بالضَّمِّ: النَفْسُ (بسكونِ الفاءِ)، وما بِهِ حياةُ النَّفْسِ هو الَّذي يعيشُ بِهِ الإنْسانُ[2]، أمّا الوحْيُ فأصْلُهُ إلقاءُ عِلْمٍ في إخْفاءٍ أو غَيْرِهِ إلى غَيْرِكَ، فالوحْيُ: الإشارَةُ، والوحْيُ: الكِتابُ والرِّسالَةُ[3].

الوحْيُ حَياةُ النُّفوسِ، وبِهِ نَجاتُها في الدّارين

وإنّما أُطْلِقَ لفظُ الرّوحِ عَلى الوحْيِ مَجَازا؛ لأَنَّهُ تَغَلْغُلٌ لَطيفٌ إلى النَّفْسِ بِخَبَرِ السَّماءِ، وأُطلق على جبريلَ عليه السلام؛ لأَنَّهُ حامِلُ وحْيِ اللّه إلى رُسُلِه، وعلى القُرآنِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشّورى: 52]؛ لأَنَّ حَياةَ النُّفوسِ به وهو مِنْ عِندِ اللّه[4]، فالعلاقَةُ بينهما مَجازيَّةٌ.

الأمرُ والإذن:

يَشْتركُ الأمرُ والإذْنُ في كَونِ كِلَيهما يَدُلّانِ على إجازَةِ الفعْلِ، ويُمكِنُ اسْتِنْتاجُ الفَرْقِ بينهما مِنَ المعنى اللُّغَويِّ لِكُلِّ لَفظٍ، فأَصْلُ الإذْنِ: العِلْمُ والإعْلامُ، تَقولُ العَرَبُ: قَدْ أذِنتُ بهذا الأمرِ، أي:

الأمرُ أعَمُّ دَلالةً مِنَ الإذْنِ في استعمال أهل اللّغة

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 41.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وحي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (روح، ريح).

عَلِمتُ، وآذنَني فُلانٌ أعْلَمَني، والمصْدَرُ: الإذْنُ والإيذانُ، وفَعَلَهُ بإذني، أيْ: بِعِلْمي، ويَجوزُ بِأمري، وهو قَريبٌ مِنْ ذَلِكَ[1].

فَقَولُكَ: أذِنْتُ لَهُ في الشَّيْءِ، إذا أبَحْتَهُ لَهُ، وأطْلَقْتَ لهُ فِعْلَهُ، أمّا الأمرُ فهو طلبُ الفعلِ مِنَ العالي أوِ المسْتَعْلي حَسَبَ اخْتِلافِ المباني فيه، وعَلَيْهِ فكُلُّ أمرٍ يَتَضَمَّنُ الإذْنَ بالضَّرورَةِ.

فالفَرقُ بينَهما: أنَّ الأمرَ أعَمُّ دلالَةً مِنَ الإذْنِ، فالأمرُ يَدُلُّ عَلى لُزومِ الفِعْلِ أوْ رُجْحانِه، بِخلافِ الإذْنِ، فإنَّهُ يَدُلُّ على مُجَرَّدِ الرُّخصَةِ في الفِعْلِ.

الإنذارُ والتّخويفُ:

الإنْـذارُ أعَـمُّ مِنَ التَّخْويفِ

يَتَّضِحُ الفرقُ بينَهُما في أنَّ الإنذارَ أعَمُّ مِنَ التَّخْويفِ، فالإنْذارُ تخويفٌ مَعَ إعلامِ مَوْضِعِ المَخافَةِ، مِنْ قولِكَ: نَذَرْتُ بالشَّيْءِ، إذا عَلِمتَهُ فاستعدَدْتَ لَهُ، فإذا خَوَّفَ الإنسانُ غيرَهُ وأعْلَمَهُ حالَ ما يُخوِّفُهُ به فقَدْ أنْذَرَهُ، وإنْ لم يُعْلِمهُ ذَلكَ، لم يُقَلْ: أنْذَرَهُ، والنَّذْرُ: ما يجعلُهُ الإنْسانُ على نَفْسِهِ إذا سَلِمَ ممّا يَخافُهُ، والإنْذارُ إحْسانٌ مِنَ المنْذِرِ، وكُلَّما كانَتِ المخافَةُ أشَدَّ كانَتِ النِّعمَةُ بالإنْذارِ أعْظَمَ؛ ولهذا كانَ النّبيُّ صَلّى اللّه عليه وآلِهِ وسَلَّمَ أعْظَمَ النّاسِ مِنَّةً بإنذارِهِ لهُم عقابَ اللّه تَعالى[2].

التّقوى والطّاعة:

التَّقْوى لا تَكونُ إلّا لله جـلّ في عُلاه

يَتَجَلّى الفَرْقُ بَينَ التَّقْوى والطّاعَةِ: أنَّ الطّاعَةَ الانقيادُ لمطلوبِ الشّارِعِ بما أمَرَ بِهِ، واجِبًا كانَ أم مُسْتَحَبًّا، والتّقْوى كَفُّ النَّفسِ عَمّا نَهى الشّارِعُ عنه، حَرامًا كانَ أم مَكْروهًا[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذن).
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 78.
(3) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 137.

كَما أنَّ الطّاعَةَ أعمُّ دلالةً مِنَ التّقْوى، فبينهما عُمومٌ وخُصوصٌ، فالطّاعَةُ تَكونُ للّهِ، ولِرَسولِهِ، ولِوُلاةِ الأُمورِ، وتَكونُ لِلوالِدَيْنِ، ولِلزَوْجِ، إلى غَيرِ ذَلكَ.

أمّا التَّقْوى: فهيَ مِنَ العِبادَةِ، والعِبادَةُ لا تكونُ إلّا للّه، وهي امتِثالُ أوامرِ اللّه، وترَكُ نَواهيهِ سُبْحانَه، عَنْ إخْلاصٍ لَهُ، وعَنْ مَحَبَّةٍ لَهُ وعَنْ تَعْظيمٍ، وعَنْ رَغْبَةٍ ورَهْبَةٍ، فالطّاعَةُ أعَمُّ دلالَةً ومُتَعَلَّقًا، والتَّقْوى أخَصُّ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»